دور الطّراز في الأندلس
في عصر دولة بني أميّة

إعداد الدكتورة سحر السيّد عبد العزيز سالم
أستاذة التاريخ والحضارة الإسلامية المساعدة
كلية الآداب جامعة الإسكندريّة

يرجع الفضل الأعظم في تمصير قرطبة وتجميلها، وتنظيم شؤون الإدارة والحكم في الأندلس إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالدّاخل (حكم ما بين 138 / 755 ـ 172 / 788)، فهو الّذي دوّن بها الدّواوين «ورفع الأواوين وفرض الأعطية، وعقد الألوية، وجنّد الأجناد، ورفع العماد، وأوثق الأوتاد، فأقام للملك آلته، وأخذ للسّلطان عدّته»[1] فشهد له ألدّ خصومه ببعد مرقى همّته ومضاء عزيمته، ولقّبه أبو جعفر المنصور بصقر قريش[2]. لقد عمل عبد الرحمن على إحاطة نفسه بهالة من فخامة الملوك وأبّهة الخلفاء، وحاول أن يجدّد ما طمس لبني أميّة في المشرق من معالم الخلافة ويسترجع ما انقرض من آثارها[3]. ويذكر ابن حيّان أنّه أوّل من أنشأ دار البرد بالأندلس[4]، ونعتقد أنّ دار البرد المذكورة كانت تختصّ بحياكة البرود، ثمّ

---

(1) المقرّي، نفح الطّيب، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ج1، القاهرة 1949. ص. 310 ـ محمّد محمّد مرسي الكحلاوي، مراكز صناعة الحرير في الأندلس من خلال النّصوص التّاريخيّة مع تطبيقات على بعض من منتوجاتها الحريريّة، مجلّة كليّة الآثار، العدد الرّابع 1990، القاهرة. ص 202.

(2) أخبار مجموعة في تاريخ الأندلس، لمؤلف مجهول، نشره دون لافونتي، القنطرة، مدريد، 1867، ص 119 ـ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشره ليفي بروفنسال وكولان، ليدن، ج 2، 1948، ص 59، 60.

(3) المقري، المصدر السّابق، ج 1، ص 308.

(4) يقول ابن حيّان في المقتبس : «كانت هذه الدّار البرديّة (يقصد دار البرد أو دار الطراز كما شاعت تسميتها فيما بعد) من بنيان الأمير الدّاخل عبد الرّحمن بن معاوية رحمة الله عليه»
«المقتبس، تحقيق د. عبد الرّحمن الحجي، بيروت، 1965، ص 66». كما يذكر أنّها كانت تقع بغربيّ قصر قرطبة وفي صدر سوقها العظمى.

أضيفت إليها دار الطّراز في عصر الأمير عبد الرّحمن الأوسط، فاتّسعت بذلك مرافقها[5]، وكان الأمير عبد الرّحمن الأوسط (حكم ما بين 206 / 821 ـ 238 / 852) رجلا على مستوى عالٍ من الثّقافة والعلم، عالما متبحرا في علوم الشّريعة والفلسفة، وكان من أعظم أمراء بني أميّة في الأندلس الذين وضعوا الأسس الأولى لحضارتها الّتي بلغت ذروة تقدمها في عصر الخلافة. فقد خصّ أهل العلم برعايته، وكان مكرما لأهل الأدب والفنّ والصّناعات ممّن ضاق المشرق بمواهبهم، فأدناهم إليه ورفع منازلهم، كما كان مولعا بالتّمصير والإنشاء والتّعمير، فهو الّذي أضاف إلى جامع قرطبة زيادتين متتابعتين، وأقام القصور والمنتزهات، وأسّس مدينة مرسية، ورتّب رسوم المملكة، وأوّل من فخم السلطنة بالأندلس وأحدث الطّرز، واستنبط عملها[6]، كما أحدث بقرطبة دار السكّة، وضرب النّقود باسمه، ولم يكن فيها ذلك منذ أن فتحها المسلمون. وإليه يرجع الفضل الأعظم في فتح أبواب الأندلس على المشرق بعد أن كانت موصودة، وأهمّ ما أنجزه فيما يتعلّق بالصّناعات قيامه بإنشاء دار الطّراز الخاصّة بقرطبة. وكانت الأندلس قبله تعتمد في ذلك على ما كان يجلب إليها من المنسوجات المشرقيّة من مصر والعراق والشّام. والغريب أنّ إبراهيم بن حجّاج الّذي استقلّ بإشبيليّة وقرّمونة وما والاهما في عهد الأمير عبد الله بن محمّد بن عبد الرّحمن الأوسط (حكم ما بين 275 / 888 ـ 300 / 912) اتّخذ طرازا بإشبيليّة «يطرز فيها على اسمه كفعل السّلطان إذ ذاك»[7]. وظلّت دار الطراز بإشبيليّة تنافس دار الطّراز قرطبة إلى أن سقطت دولة بني حجّاج على يد عبد الرّحمن النّاصر في سنة 301 / 913.

كان يتولّى دار الطّراز زمن الأمير عبد الله ريّان الفتى[8]. وفي سنة 313 / 925 ولّي خلف الفتى الكبير الطّراز، ثمّ تولّى بدر مولى عبد الرحمن النّاصر خطّة البرد بالإضافة إلى الحجابة والوزارة وخطّة الخيل منذ اليوم الّذي بويع فيه عبد الرحمن بالإمارة في سنة 300 /

(5) السّيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج 1، الإسكندريّة، بدون تاريخ، ص 215.
(6) ابن عذارى، البيان المغرب، ج 2، ص 91.
(7) ابن عذارى، المصدر السّابق، ج 2، ص 127.
(8) ابن عذارى، نفس المصدر، ج 2، ص 148، وقد توفّي ريّان الفتى صاحب الطراز في سنة 298 / 910.

912[9]. وأسند النّاصر ولاية الطّراز سنة 313 / 925 إلى خلف الفتى الكبير[10]. ويبدو أنّ تسمية دار الطّراز مرّة بالطّراز ومرّة بدار البرد ظلّ قائما إلى أن ضُمّت التّسميتان معا بعد أن تعرّضت دار البرد المصاقبة لقصر الخلافة بقرطبة لحريق حدث في 20 شعبان سنة 324 / 935، فأتت النّيران عليها، وعندئذ بادر الخليفة عبد الرّحمن النّاصر بتجديد عمارتها، فأمر بإعادة دار البرد على رسم رسمه، دلّ على فضل معرفته، ومغاصّ حكمته، فسما بناؤها، ونصبت أبوابها على ما حد، ورفعت فوقها عليه توفى عليها، ويؤمن معا الإضرار بها »[11] ونستدلّ من رواية ابن الخطيب في أعمال الأعلام أنّ دار الطراز والبرد اتّسعت اتّساعا كبيرا وشملت العديد من المرافق وأصبحت تشبه بما أضيف إليها من منشآت المدينة. يقول ابن الخطيب: «ومن آثاره الّتي ضربت بها الأمثال، وقضيت منها العجائب، حال الطّراز ببابه لنسج ما يحتاج إليه من الخلع والكسي وملابس الحرم وغير ذلك، فقد كان (أي دار الطراز) على عهده مدينة تشتمل على آلاف من الخلق، قد اتّخذت فيها المرافق والمساجد والحمّام والسّوق، ولو تتبّعنا أصنافهم وما كانوا يحاولونه من صناعاتهم ويناغون به المشرق من بضائعهم، ومقدار جراياتهم ونفقاتهم، لضاق عنه الكتاب»[12].

واستمرّت هذه الدّار على هذا النّحو من الاتّساع حتّى ضاقت بها السّوق الكبرى المجاورة للقصر الخلافي إلى أن تولّى الحكم المستنصر بالله بن النّاصر، فأمر بنقلها في المحرّم سنة 361 / 971 من موضعها إلى دار الزّوامل بالمصارة بالطّرف الغربيّ من قرطبة، وأقام في الموقع الّذي كانت تشغله دار الطراز أو دار البرد حوانيت للبزّازين ليتّسع بها سوقهم، في حين نقلت دار الزوامل من موضعها الّذي احتلّته دار الطّراز إلى الدّار الواقعة على مقربة من المحبس عند قصر النّاعورة[13]. وأصبحت دار البرد والطراز القديمة بذلك قيساريّة للتجّار توسّعت بها السّوق[14].

وهكذا أصبحت لدار الطّراز ودار البرد خطّه بهذا الاسم، أسند الحكم المستنصر بالله ولايتها إلى فائق النّظامي الفتى الكبير الصقلبيّ[15] الّذي ارتفعت مكانته لدى الحكم، فنقله من

(9) ابن عذارى، نفسه، ج 2، ص 158.
(10) نفس المصدر، ص 191.
(11) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق د. شالميتا، وكورينطي وصبح، مدريد، 1989، ص 383.
(12) ابن الخطيب، كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، بيروت 1956، ص 40.
(13) ابن حيّان، المقتبس، القسم الخاصّ بالحكم المستنصر، تحقيق د. الحجّي، ص 66.
(14) ابن حيّان، المقتبس القسم الخاصّ بعبد الرّحمن النّاصر، تحقيق شالميتا ص 383.
(15) ابن حيّان، تحقيق الحجّي، ص 63.

داره إلى دار الحاجب جعفر بن عبد الرّحمن الصقلبيّ (ت. 360 / 970)[16]، وكانت تعرف آنذاك بخطّة الطّراز والبرد، وظلّ فائق النّظامي يتولاّها في حياة الحكم إلى أن توفّي الحكم في 4 صفر سنة 366 / 976. وكان فائق وقت وفاة الخليفة على رأس الصّقالبة، وكان يليه في المرتبة صاحبه جؤذر صاحب الصّاغة والبيازرة[17].

ومن المعروف أنّ دار البرد والطّراز هذه هي الدّار الخاصّة بالخليفة الأمويّ، أي أنّ إنتاجها قاصر على استخدام الخليفة ومن يخلع عليهم من كبار رجال الدّولة أو عظماء الوافدين على الحضرة قرطبة من أمراء المغرب الموالين له. ويتميّز إنتاج هذه الدّار بأنّها تحمل في نسيجها نقوشا كتابيّة تشتمل على أدعية للخليفة، أو تحمل اسم من أهديت إليه في بعض الأحيان إذا كان من الشّخصيّات الهامّة. من ذلك الملابس السنيّة والكسى الفاخرة التي هادى بها عبد الرّحمن النّاصر محمّد بن خزر في نسة 317 / 929، فقد نسج عليها اسم محمّد بن خزر تقديرا لشخصه. ويعلن ابن حيّان على ذلك بقوله: «وكان الّذي اختصّه به في تطريزه لما اصطنعه من خاصّ لهديته هذه من الملابس، في طرازه الخاصّ، باسم محمّد بن خزر، أعظم قدرا من ذلك، إذ كان شيئا لم يتقدّم لملك قبله إلى وليّ من أوليائه، قد اعتدّ به عليه النّاصر لدين اللّه لإنافة قدر المنزلة في الجواب النّافذ إليه إذ قال في فصل منه جرّده آخر الكتاب:

«ولمّا حللت من حسن رأى أمير المؤمنين المحلّ الّذي حللته، ونزلت من نفسه المكان الّذي نزلته، ذهب ألاّ يهاديك من لبوسك إلاّ بما استعمله لنفسه في طرازه الخاصّ على اسمك، وهذا أمر لم يفعله من تقدّم من الأعاظم بالمشرق والمغرب بأخذ قرب وعظم محلّه، فخصّك من ذلك بعشر قطع مختلفة الأجناس، ممّا استعمل لكسوته الخاصّة من عتيق الخزّ العبيديّ وغريبه وبديعه في التّأليف والصّنعة مطرّزة باسمك، لم يعمل قطّ مثلها في طرز بني العبّاس. وهذا ما يبقى لك فخره ويخلّد لك ولعقبك سناؤه وذكره، ما بقيت لكم باقية، وثواب اللّه خير عقبى»[18].

وهكذا كانت دار الطّراز الخاصّة بالخليفة مخصّصة لإهداء الخلع إلى المقرّبين إليه. ومن بين الهدايا الّتي أنعم بها النّاصر على الوافدين إليه من زعماء المغرب هديّته إلى موسى بن أبي

---

(16) نفس المصدر، ص 66.
(17) ابن عذارى، البيان المغرب، ج 2، ص 260.
(18) ابن حيّان، تحقيق شالميتا، ص 268.

العافية سنة 319 / 931 وكانت تشتمل على الكسى الرقيقة من الخزّ مختلف الأجناس ما بين شقّة وعمامة وبرنس ما يقدّر عدده بخمس وعشرين قطعة، ومن اللبود الطّرازية الأرجوانيّة عشر قطائع[19]. وكان الحكم المستنصر بالله يهادي أمراء البربر بالعدوة كثيرا من فاخر الكسوة[20]. وكان المنصور محمّد بن أبي عامر يهادي ملوك إسبانيا المسيحيّة والقوامس المعاهدين، وكذلك من حَسُن بلاؤه من المسلمين في الحروب والغزوات بفاخر المنسوجات والكسى من إنتاج دار الطّراز بقرطبة. ويذكر ابن عذارى أنّه وزّع في غزوته الثّامنة والأربعين إلى شنت ياقب سنة 387 / 997 «ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقّة من صنوف الخزّ الطّرازي، وواحدا وعشرين من صوف البحر[21]، وكسائين عنبريين، وأحد عشر سقلاطونية[22]، وخمس عشرة مربشات، وسبعة أنماط ديباج، وثوبي ديباج روميّ وفرو فنك»[23]. ويعلن ابن الخطيب على هذه الهديّة النّفيسة بقوله : «وبلغت كسى المنصور في هذه الغزاة إلى ألفي كسوة، وهذا شيء يضيق عنه ساحة الملوك الّذين دون ملوك بني مرين أعزّهم الله بنصره، فقد كانت الكسى لأوّل هذه الدّولة الّتي رفع الوزير المعظّم، معتمدنا بهذا الكتاب، لواء الوفاء لها والذبّ عنها مذكرّة بهذه

---

(19) نفس المصدر، ص 308.

(20) ابن عذارى، المصدر السابق، ج 2، ص 347.

(21) هو نوع من الوبر الصّوفيّ يجمع بين لين الخزّ وبريق الذّهب يتساقط من حيوانات بحريّة على ساحل شنترين وفي ذلك يقول الإصطخري «وتقع بشنترين في وقت من السّنة من البحر دابة تحتك بحجارة على شطّ البحر فيقع منها وبر ليّن الخزّ، ولونه لون الذّهب لا يغادر منه شيئا، وهو عزيز قليل، فيجمع وينسج منه ثياب، فتتلوّن في اليوم ألوانا، ويحجرّ عليها ملوك بنو أميّة، ولا ينتقل إلاّ سرّا، وتزيد قيمة الثّوب عن ألف دينار لعزّته وحسنه» (الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمّد جابر عبد العال الحيني، القاهرة، 1961، ص 35 - المقدسي، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي غويه، ليدن 1906، ص 240). وكان هذا الحيوان البحريّ يعرف بأبي قلمون (المقدسيّ، ص 240).

(22) سقلاطونية صفة من كلمة سقلاطون، وهو مصطلح من أصول يونانيّة Ciclation أطلق في الغرب الأوروبيّ وكان يعرف في اللّغة الفرنسيّة القديمة باسم Siglaton

Blachére: Extrait des principaux géographes arabes du Moyen âge, Paris - Beyrouth, 1932, pp. 197-198.

وقد أطلق هذا الاسم في الغرب الأوروبيّ على نسيج من الحرير مطرّز بالذّهب، اختصّت بغداد بصناعته، وأعتقد أنّه سمّي بذلك الاسم بسبب رسومات الدّوائر الّتي تحملها المنسوجات البيزنطيّة والسّاسانيّة والإسلاميّة.

(Marqués de Lozoya, Historia del arte Hispánico, T. I, Barcelona, 1931, p. 268).

(23) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2 ص 296. هذا وقد عرفت قرطبة بصناعة الفنك من فراء السّمور (المقرّي، نفح الطّيب، ج 1، ص 184).

العهود ومجدّدة لشأنها بحيث تتّهم الحكاية ويقصر الوصف»[24]. وكان المنصور بن أبي عامر يستدعي أجناد البربر إلى الأندلس، فيخلع على الرّجل منهم بلباس الخزّ الطرازي وغيره بدلا من لباسه الخلق[25].

ولم يتبقّ من إنتاج دار الطّراز بقرطبة سوى قطعة من النّسيج الرّقيق تعرف بطراز هشام المؤيّد بالله عثر عليها في سانت إستيبان دي جورماث (غرماج)، وتحتفظ بها اليوم الأكاديميّة التّاريخيّة بمدريد، وهي غشاء أصفر اللّون من الكتّان الرّقيق يزدان بشريط عريض أبيض اللّون يميل إلى الاصفرار، ينقسم إلى ثلاثة مناطق، الوسطى منها تشغلها 13 جامة مثمّنة الشّكل على أرضيّة مذهّبة، تتّصل فيما بينها بأشكال نجميّة، وبداخل الجامات صور أشخاص متربّعين في جلستهم يمسك أحدهم بقنّينة، أو صور حيوانات تعوزها الرّشاقة، أحدها يمثّل أسدا مجنّحا. أمّا المنطقتان العليا والسّفلى فيشغلها نصّ كتابيّ منسوج بالخطّ الكوفيّ، تميل رؤوس السّيقان في حروفها من أعلى إلى الدّاخل، ونطالع فيه ما يلي : (بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، البركة من الله واليمن من اللّه، واليمن والدّوام للخليفة الإمام عبد الله هشام المؤيّد باللّه أمير المومنين)[26]. وتشبه الرّسوم المنسوجة على هذه القطعة نقوشا تزدان بها بعض العلب والصّناديق العاجيّة من صناعة مدينة الزهراء في عصر الخلافة. ومن الجدير بالملاحظة أنّ بقيّة أجزاء القطعة منسوجة من الخزّ، وتزدان بألوان بيضاء وزرقاء وخضراء وصفراء ووردية بين خطوط سوداء[27]. ويتجلّى في هذه القطعة بوضوح أثر التّقاليد الفنيّة العراقيّة، ومن المعروف أنّ التأثيرات الفنيّة العراقيّة بدأت تتدفّق على الأندلس منذ عهد الأمير عبد الرّحمن الأوسط الّذي لم يكن يتحرّج من اتّخاذ الثّياب العراقيّة، رغم العداء السياسيّ القديم بين بغداد وقرطبة منذ قيام دولة بني أميّة في الأندلس، ونستدلّ على ميل هذا الأمير لارتداء الثّياب العراقيّة المجلوبة من بغداد من نصّ أورده ابن القوطيّة يشير إلى أنّ الشّاعر عبد الرّحمن بن الشمر دخل على الأمير عبد الرّحمن يوما وعليه ثوب عراقيّ وغفارة عراقيّة[28]. ويؤكّد هذه الحقيقة قطعة من النّسيج المعروف بنسيج الفيلة

---

(24) ابن الخطيب، كتاب أعمال الأعلام، ص 68.

(25) ابن عذارى، المصدر السّابق، ص 279.

(26) Lévi - Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne, Paris, 1931, p. 127.

(27) جومث مورينو، الفنّ الإسلاميّ في إسبانيا، ترجمة د. أحمد لطفي عبد البديع، والدكتور السّيد عبد العزيز سالم، القاهرة، 1968، ص 411 ـ محمّد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفيّة الإسلاميّة في المغرب والأندلس، بيروت ص 127.

(28) ابن القوطيّة، تاريخ افتتاح الأندلس، نشر خليان ريبيرا، مدريد 1926 ص 60.

محفوظة بكنيسة سان إيسيدور بليون، تزدان بدوائر بداخل كلّ منها صورة فيلين متقابلين بينهما شجرة الحياة، ويعلو ظهر كلّ من الفيلين أسد يفترس الفيل، وعلى ظهر الأسد صقران رأساهما متدابران، ونسيج حول كلّ دائرة طراز من الكتابة الكوفيّة نصّها : (البركة من الله واليمن... لصاحبه أبي بكر مّما عمل في بغداد) نسجت طردا وعكسا[29]. لقد كانت للمنسوجات العراقيّة سوق رابحة في الأندلس، إذ كانت الموصليّة والعتابيّة البغداديّة والجرجانيّة من النّسيج المستطرف عند أهل الأندلس، تعبر عن الأناقة والفخامة في آن واحد، ولهذا اتّخذت أنموذجا احتذاه الطرّازون في مدينة المريّة في عصر المرابطين كما سنوضّح فيما بعد. وكانت هذه المنسوجات العراقيّة المجلوبة من العراق وخراسان في عصر الخلافة من بين الهدايا الّتي قدّمها الوزير أحمد بن شهيد إلى الخليفة عبد الرحمن النّاصر، ومن بينها سبعة أفرية بيض من نفيس الفنك خراسانيّة، وستّة مطارف عراقيّة خاصّة له، و48 من الملاحف البغدادية لزينة الخيل مصنوعة من الحرير المذهّب، وستّة من السّرادقات العراقيّة[30].

وبالإضافة إلى دار الطراز الخاصّة بقرطبة ودار الطراز الخاصّة الّتي اتّخذها إبراهيم ابن حجاج بإشبيليّة تعدّدت دور الطراز العامّة الّتي خصّصت لأهل الأندلس، وكانت موزّعة على معظم مدن الأندلس بالإضافة إلى بعض التجمّعات العمرانيّة القرويّة الّتي كانت لديها أنوال لنسج المنسوجات الكتّانيّة أو القطنيّة أو الحريريّة. فكانت بالمريّة وبجّانة ومالقة ومرسية وغرناطة وإشبيليّة وقرطبة وبطليوس وشنترين ولشبونة وغيرها من مدن الأندلس دور طراز عامّة. واختصّت بعض هذه المدن بنوع معيّن من المنسوجات، فقد ذاعت شهرة بجّانة في صناعة الحرير، إلي أن ظهرت المريّة فانتقلت إليها هذه الصّناعة[31]، كما ورثت المريّة أيضا شهرة قرطبة في صناعة الوشي والدّيباج[32] وذلك بعد سقوط الخلافة الأمويّة وقيام الفتنة البربريّة، فقد ذكر

---

(29) السيّد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، الإسكندريّة، 1985، ص 278 - محمّد الكحلاوي، المرجع السّابق، ص 220.

(30) المقرّي، نفح الطّيب، ج 1 ص 335.

(31) الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الرّوض المعطار في خبر الأقطار، نشره ليفي بروفنسال، القاهرة 1937، ص 38 - لمزيد من التّفاصيل عن صناعة الحرير في الأندلس ارجع إلى محمّد محمّد الكحلاوي، المرجع السّابق، ص 208 وما يليها.

(32) كانت دار الطّراز الخاصّة تنتج ثياب الخلفاء من الحرير المختّم المرقوم بالذّهب المختلف الألوان (ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج 4 طبعة بولاق، 1284 هـ، ص 138 - المقرّي، نفح الطّيب، ج 1 ص 234). وذكر الرّازي أن من بين المنسوجات الّتي تنتجها قرطبة في عصر الدّولة الأمويّة بالأندلس الأقمشة النّاعمة والمنسوجات الحريريّة السّميكة وغير ذلك (Lévi-Provençal, La Description d'Al-Andalus de Razi, al-Andalus, vol. XVIII, 1953, p. 65).

ياقوت أنّه كان يعمل بقرطبة «الوشى والدّيباج فيجاد عمله، وكانت أوّلا تُعمل بقرطبة، ثمّ غلبت عليها المريّة، فلم يثقّف في الأندلس من يجيد عمل الدّيباج إجادة أهل المريّة»[33]. واشتهرت إشبيليّة بصناعة نوع من النّسيج لا يتأثّر بماء المطر[34]، كما عرفت بنسج القطن الّذي ينبت في أرضها ويحسن ويزكو في بقعتها[35]. واشتهرت بجّانة بصناعة الحرير[36]. ويذكر ابن حوقل أنّ أردية أهل الأندلس المصنوعة في بجّانة كانت تحمل إلى مصر ومكّة واليمن وغيرها[37]، واحتفظت بجّانة بهذه الشّهرة حتّى فاقتها المريّة في هذه الصّناعة، فانتقلت صناعة الخزّ والحرير والحلل الموشيّة والدّيباج إليها. ويذكر ابن سعيد نقلا عن ابن فرج قوله : «حدث فيها (أي المريّة) من صنعة الوشي والدّيباج على اختلاف أنواعه، ومن صنعة الخزّ وجميع ما يعمل من الحرير ما لم يبصر مثله في الشّرق ولا في بلاد النّصارى»[38]، وهو ما أكّده الرازي في قوله : «المريّة مفتاح الرّزق والكسب، وموطن الحذّاق من أصحاب الصّناعات... وفيها يصنع أيضا الحلل الموشيّة النّفيسة»[39]. وذاعت شهرة مرسية في عصر الدّولة الأمويّة «بالطّراز العجيبة والصّناعة الغريبة للوطاء والبسط»[40]، كما اختصّت سرقسطة بصناعة السّمور، وفي ذلك يقول العذري : «ولأهلها فضل الحكمة في صنعة السّمور والبراعة فيه بلطيف التّدبير، يقوم في طرزها بكمالها منفردة بالنّسج، وهي الثّياب المعروفة النّسبة بالسّرقسطيّة، لا تُدانى تلك الصّنعة ولا تُحكى في

---

(33) ياقوت، معجم البلدان، المجلّد الخامس، ص 119.

(34) ابن حوقل، صورة الأرض، تحقيق كراموز، ليدن، 1938، ص 114.

(35) العذري، نصوص عن الأندلس، تحقيق د. عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965، ص 96. وانظر ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، ص 292.

(36) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 38 ـ محمّد الكحلاوي، المرجع السّابق، ص 208.

(37) ابن حوقل، المصدر السّابق، ص 114.

(38) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ج 2، القاهرة 1953، ص 193 وما يليها.

(39) Lévi-Provençal, La Description d'Al-Andalus, Op. Cit., p. 67.

(40) العذري، المصدر السّابق، ص 9. وذكر الحميري أنّ لأهل مرسية حذقا، بصنعة البسط الرّفيعة الشّريفة وتجديدها لا يبلغه غيرهم (الحميري، ص 182) ويطلق المقرّي على هذه البسط اسم التنتالية نسبة إلى تنتاله من عمل مرسية (المقري، ج1، ص 187) ولعلّها جنحاله الواقعة شمالي مرسية (الحميري، ص 67).

أفق من الآفاق»[41]. وتقدّمت بسطة واشتهرت بصناعة الحرير وكان يتوفّر فيها من شجر التّوت ما لا يحصى[42]. وكان ببسطة الطرز الشّريفة[43].

واستمرّت دار الطراز الخاصّة بقرطبة تباشر عملها في عصر الفتنة، فقد ذكر ابن بسّام أنّ المستظهر باللّه أقرّ على مراتب الخدمة طوائف منهم خدمة الطّراز[44]./.

---

(41) نفس المصدر، ص 22. والسمّور حسب ما ذكره المقري عن الحجازي: حيوان يعمل من وبره الفراء الرّفيع (المقرّي، نفح الطيب، ج 1، ص 184)، وقارن ما ذكره محمّد الكحلاوي، المرجع السّابق، ص 215.

(42) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، ص 76.

(43) ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق د. أحمد لطفي عبد البديع، مجلّة معهد المخطوطات العربيّة، 1956، ص 284 ـ محمّد الكحلاوي، المرجع السّابق، ص 214.

(44) ابن بسّام الشنتريني، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عبّاس، ج 1 قسم 1، ص 51.